

الأمر نزوله. يقال: وقع ما كنت أتوقعه. أي: نزل ما كنت أتربح نزوله.

فإن قُلْتُ: بم انتصب إذا؟ قُلْتُ: بليس. كقولك: يوم الجمعة ليس لي شغل، أو بمحذوف يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت. أو بإضمار أنكر.

لَيْسَ لَوْفَعَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٧٢﴾

﴿كاذبة﴾ (3) نفس كاذبة، أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات. كقوله تعالى: ﴿فلما راوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾ (4) ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم﴾ (5) ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة. واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ (6) أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها: لم تكوني. كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبها بقلن لها: لن تكوني. أو هي من قولهم: كذبت فلاناً نفسه في الخطب العظيم، إذا شجعت على مباشرته. وقالت له: إنك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به. على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وقطاعة، وأن لا نفس حينئذ تحث صاحبها بما تحدثه به عند عظام الأمور وتزين له احتمالها وإطاعتها؛ لأنهم يومئذ أضعف من نلك وأذل، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كالفراس المبوث﴾ (7) والفراس مثل في الضعف وقيل: ﴿كاذبة﴾ مصدر كالعاقبة. بمعنى: التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب. أي: فما جبن وما تثبط. وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به من إطاقته له وإقدامه عليه. قال زهير:

إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا
أي: إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد.

خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٧٣﴾

﴿خافضة رافعة﴾ على هي خافضة رافعة ترفع أقواماً وتضع آخرين. إما وصفاً لها بالشدة؛ لأن الوقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس، وإما لأن الأشقياء يحطون إلى الدرجات والسعداء يرفعون إلى الدرجات، وإما لأنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضاً وترفع بعضاً، حيث تسقط السماء كسفاً وتنتثر الكواكب وتنكسر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب. وقرئ: خافضة رافعة بالنصب على الحال.

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٧٤﴾

﴿رجت﴾ حركت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كل شيء

يَهِنٌ حَيْرَتٌ حَسَانٌ ﴿٧٥﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٧٦﴾

﴿خيرات﴾ خيرات فخفت كقوله عليه السلام: «هينون لينون» (1) وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه: خيرون ولا خيرات. وقرئ: خيرات على الأصل والمعنى: فاضلات الأخلاق حسان الخلق.

مُضْمَرَةٌ فِي الصَّيَابِ ﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٧٨﴾

﴿مقصورات﴾ قصرن في خدورهن يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة. وقيل: إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة.

لَمْ يَلْمِيزُنَّ إِشْرَاقَهُمْ وَلَا جَهَنَّمَ ﴿٧٩﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٨٠﴾

﴿قبلهم﴾ قبل أصحاب الجنتين دل عليهم نكر الجنتين.

مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرَ وَبَقِرِي حَسَانِ ﴿٨١﴾ يَا أَيُّهَا آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٨٢﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٣﴾

﴿متكبين﴾ نصب على الاختصاص والررفرف ضرب من البسط. وقيل: البسط. وقيل: الوسائد. وقيل: كل ثوب عريض ررفرف. ويقال لأطراف البسط وفضول الفسطاط: رفارف، ورفرف السحاب: هيد به. والعبقري: منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب. وقرئ: رفارف خضر بضممتين، وعبقري كمدائني نسبة إلى عباقر في اسم البلد. وروى أبو حاتم: عبقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا الأوجه لصحته.

فإن قُلْتُ: كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الأوليين حتى قيل: ومن دونهما؟ قُلْتُ: مداهمتان نون نواتا أفنان، ونضاختان نون تجريان، وفاكهة نون كل فاكهة، وكذلك صفة الحور والمتكأ. وقرئ: ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الرحمٰن أدنى شكر ما أنعم الله عليه» (2).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الواقعة مكية

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾

﴿وقعت الواقعة﴾ كقولك: كانت الكائنة، وحدثت الحادثة، والمراد: القيامة. وصفت بالوقوع أنها تقع لا محالة. فكانه قيل: إذا وقعت التي لا بد من وقوعها. ووقوع

(1) تقدم في الفرقان.

(2) أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مروي في تفسيره وأخرجه الزيلعي 3/399.

(3) قوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ قال فيه: كاذبة صفة تقدير موصوفاها نفس كاذبة.

(4) سورة غافر، الآية: 84.

(5) سورة الشعراء، الآية: 201.

(6) سورة الفجر، الآية: 24.

(7) سورة القارعة، الآية: 4.

فوقها من جبل وبناء.

وَسُئِلَ الْجِبَالُ سَمًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾.

﴿ويست الجبال﴾ وفنت حتى تعود كالسويق، أو سيقت، من بس الغنم إذا ساقها. كقوله: ﴿وسيرت الجبال﴾ (١) ﴿منبثًا﴾ متفرقًا. وقرئ: بالهاء أي: منقطعًا. وقرئ: رجت ويست. أي: ارتجت وذهبت. وفي كلام بنت الخس: عينها هاج وصلها راج وهي تمشي وتفاج.

فإن قلت: بم انتصب إذا رجت؟ قلت: هو بدل من ﴿إذا وقعت﴾، ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي: تخفض وترفع وقت رج الأرض ويس الجبال؛ لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض.

وَكَذَّمْ أَرْبَابًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾.

﴿أربابًا﴾ أصنافًا، يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أو ينكر بعضها بعض: أزواج.

ثُمَّ أَحَدٌ أَلِيمٌ مَّا أَحَبَّ أَلِيمٌ ﴿٨﴾ وَأَحَدٌ أَلِيمٌ مَّا أَحَبَّ أَلِيمٌ ﴿٩﴾.

﴿وأصحاب الميمنة﴾ الذين يؤتون صحائفهم بإيمانهم. ﴿وأصحاب المشأمة﴾ الذين يؤنونها بشمائلهم، أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة البدنية. من قولك: فلان مني باليمين وقلان مني بالشمال، إذا وصفتها بالرفعة عندك والضعفة. وذلك لتمكنهم باليمين وتشاؤمهم بالشمال، ولتفاؤلهم بالسنانح وتطيهرهم من البارج. ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشومى. وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة. أصحاب اليمن والشؤم؛ لأن السعداء ميامن على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائم عليها بمعصيتهم. وقيل: يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال.

وَأَكْبَرُ الْكَبِيرَةِ ﴿١٠﴾.

﴿والسابقون﴾ المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عز وجل. وقيل الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير في حادثة سنة ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الشر في حادثة سنة ثم يزل

عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال. ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال (٢) الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى: أي شيء هم. ﴿والسابقون السابقون﴾ يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله: وعبد الله عبد الله. وقول أبي النجم: وشعري شعري. كانه قال: وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته، وقد جعل السابقون تأكيداً وأولئك المقربون خبراً، وليس بذاك. ووقف بعضهم على ﴿والسابقون﴾ وابتدا: السابقون.

أُولَئِكَ الْمَرْغُوبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةٍ أَلْوِيَةٍ ﴿١٢﴾.

﴿أولئك المقربون﴾ والصواب أن يوقف على الثاني؛ لأنه تمام الجملة وهو في مقابلة أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة.

﴿المقربون في جنات النعيم﴾ الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم. وقرئ: في جنة النعيم.

ثُمَّ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾.

والثلة: الأمة من الناس الكثيرة قال:

وجاءت إليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد وقوله عز وجل: ﴿وقليل من الآخرين﴾ كفى به دليلاً على الكثرة، وهي من الثل وهو: الكسر، كما أن الأمة من الأم، وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم. والمعنى: أن السابقين من الأولين كثير، وهم: الأمم من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ.

﴿وقليل من الآخرين﴾ وهم أمة محمد ﷺ. وقيل: ﴿من الأولين﴾ من متقدمي هذه الأمة. و﴿من الآخرين﴾ من متاخرها. وعن النبي ﷺ: «الثلاثان جميعاً من أمتي» (٣).

فإن قلت: كيف قال: ﴿وقليل من الآخرين﴾ ثم قال: ﴿وثلة من الآخرين﴾ (٤) قلت: هذا في السابقين، وبذلك في أصحاب اليمين، وأنهم يتكاثرون من الأولين والآخرين جميعاً.

فإن قلت: فقد روي أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله ﷺ يراجع ربه حتى نزلت ﴿ثلة من الأولين﴾ ﴿وثلة من الآخرين﴾! قلت: هذا لا يصح لامرين أحدهما: أن هذه الآية واردة في السابقين وروداً

(1) سورة النبا، الآية: 20.

(2) ق ل أحمد: اختار ما هو المختار؛ لأنه اتعد بالفصاحة، لكن بقي التنبيه على المخالفة بين المذكورين في السابقين وفي أصحاب اليمين، مع أن كل واحد منهما إنما أريد به التعظيم والتحويل لحال المذكورين، فنقول: التعظيم المؤدي بقوله: السابقون أبلغ من قرينه، وبذلك أن مؤدي هذا أن أمر السابقين وعظمة شأنه ما لا يناد يخفى، وإنما تحير فهم السامع فيه مشهور، وأما المذكور في قوله: ﴿وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾ فإنه تعظيم على =

= السامع بما ليس عنده منه علم سابق، ألا ترى كيف سبق بسط حال السابقين بقوله: ﴿أولئك المقربون﴾ فجمع بين اسم الإشارة المشار به إلى معروف وبين الإخبار عنه بقوله: ﴿المقربون﴾ معرفاً بالألف واللام العهدية، وليس مثل هذا مذكوراً في بسط حال أصحاب اليمين، فإنه مصدر بقوله: ﴿في سدر مخضود﴾.

(3) رواه الطبراني في معجمه.

(4) سورة الواقعة، الآية: 40.

قري: ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بالرفع على وفيها حور عين، كبيت الكتاب إلا رواكذ جمرهن هباءً ومشجج، أو للعطف على ولدان وبالجر عطفاً على جنات النعيم، كأنه قال: هم في جنات النعيم، وفاكهة ولحم وحورًا وعلى اكواب؛ لأنَّ معنى ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب﴾: ينعمون باكواب، وبالنصب على ويؤتون حورًا.

جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَمَكُونُ (١٤)

﴿جَزَاءٌ﴾ مفعول له. أي: يفعل بهم ذلك كله جزاءً بأعمالهم.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا أَشْيَاءٌ (١٥) إِلَّا فِيهَا سُلَالٌ مِّنَّا وَمَحَبَّةٌ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا أَحْبَبُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا (١٦)

﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ إما بدل من ﴿قِيْلًا﴾ ببليلى قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾، وإما مفعول به لقيلًا بمعنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا: سلامًا سلامًا. والمعنى: أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلامًا بعد سلام. وقرئ: سلام سلام على الحكاية.

فِي يَدَيْهِمْ نَخْلٌ مِّنْ يَّمِينِهِمْ (١٧)

السدر: شجر النبق. والمخضود: الذي لا شوك له كأنما خضد شوكه. وعن مجاهد: الموقر: الذي تثني أغصانه كثرة حملة، من خضد الغصن: إذا ثناه وهو رطب.

وَنَخْلٌ مِّنْ يَّمِينِهِمْ (١٨)

والطلح: شجر الموز. وقيل: هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة. وعن السدي: شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل. وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ: وطلع، وما شأن الطلح؟ وقرأ قوله لها: طلع نضيد. فقيل له: أَوْتَحَوْلُهَا. فقال: أي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول. وعن ابن عباس نحوه. والمنضود: الذي تضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة.

وَنَخْلٌ مِّنْ يَّمِينِهِمْ (١٩)

﴿وَنَخْلٌ مِّنْ يَّمِينِهِمْ﴾ ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

وَمَاءٌ شَرِبُوا مِنْهُ (٢٠)

﴿مَسْكُوبٌ﴾ يسكب لهم أين شأؤوا وكيف شأؤوا لا يتعنون فيه وقيل: دائم الجرية لا ينقطع. وقيل: مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود.

وَنَخْلٌ مِّنْ يَّمِينِهِمْ (٢١) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٢٢)

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفاوكه الدنيا ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تمنع عن تناولها بوجه

ظاهراً، وكذلك الثانية في أصحاب اليمين. ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم، والثاني: أن النسخ في الإخبار غير جائز. وعن الحسن رضي الله عنه: سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا، وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة، وثلة خبر مبتداً محذوف أي: هم ثلة.

عَلَى شُرَيْرٍ مَّؤْمُونَةٍ (٢٣)

﴿مَوْضُونَةٌ﴾ مرمولة بالذهب مشبكة بالدرّ والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توطن حلق الدرع. قال الأعشى:

ومن نسج داود موضونة

وقيل: متواصلة أدنى بعضها من بعض.

مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ (٢٤)

﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ حال من الضمير في على وهو العامل فيها. أي: استكبروا عليها متكبرين ﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾ لا ينظر بعضهم في أفعال بعض، وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (٢٥)

﴿مُخَلَّدُونَ﴾ مبقون أبداً على شكل الولدان وحذ الوصافة لا يتحولون عنه، وقيل: مقرطون والخلدة: القرط، وقيل: هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها. روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث: «أولاد الكفار خدام أهل الجنة» (١).

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ يَمِينٍ (٢٦)

الأكواب: أوان بلا عرى وخراطيم، والأباريق نوات الخراطيم.

لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفَرُونَ (٢٧)

﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها. أو لا يفرقون عنها، وقرأ مجاهد: لا يصدعون بمعنى: لا يتصدعون لا يفرقون كقوله: يومئذ يصدعون ويصدعون أي: لا يصدع بعضهم بعضاً لا يفرقونهم.

وَنَخْلٌ مِّنْ يَّمِينِهِمْ (٢٨)

﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾ ياخذون خيره وأفضله.

وَنَخْلٌ مِّنْ يَّمِينِهِمْ (٢٩)

﴿يَشْتَهُونَ﴾ يتمنون. وقرئ: ولحوم طير.

وَحُرُوفٍ عَرَبِيَّةٍ (٣٠) كَأَمْثَلِ الذُّلْفِ الْأَكْثَرِ (٣١)

(١) كشف الاستار كتاب: القدر، باب: في اطفال المشركين (الحديث

ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا. وقرئ: ﴿وفاكهة كثيرة﴾ بالرفع على وهناك فاكهة. كقوله: وحود عين.

وَرُئِيَ مَرْفُوعَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٢٣﴾ فَعَمَلْنَهُمْ أَنْكَارًا ﴿٢٤﴾ عُرْيَا أَزْوَاجًا ﴿٢٥﴾.

﴿وفرش﴾ جمع فراش. وقرئ: ﴿ووفرش﴾ بالتخفيف مرفوعة ﴿نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة. وقيل: هي النساء؛ لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك. قال الله تعالى: ﴿هم وأزواجهم في ظللال على الأرائك متكئون﴾⁽¹⁾ ويدل عليه قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ وعلى التفسير الأول: أضرمر لهن؛ لأن نكر الفرش وهي المضاجع دلّ عليهن أنشأهن إنشأه أي: ابتدأنا خلقهن ابتداءً من غير ولادة، فيما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشأهن أو اللاتي أعيد إنشأهن. وعن رسول الله ﷺ: أَنَّ أُمَّ سَلْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَأَلَتْهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلْمَةَ هُنَّ اللَّوَاتِي قَبِضْنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ شَمَطًا رَمَضًا جَعَلَهُنَّ اللَّهُ بَعْدَ الْكَبِيرِ ﴿اتْرَابًا﴾ عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ فِي الْإِسْتِوَاءِ كَلَمَا تَاهُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ».

وجدهن أيكارًا، فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك من رسول الله ﷺ قالت: وأوجعاه. فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك وجع»⁽²⁾. وقالت عجوز لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يسخلني الجنة. فقال: «إن الجنة لا تدخلها العجائز»، فولت، وهي تبكي فقال عليه الصلاة والسلام: أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز»⁽³⁾. وقرأ الآية.

﴿عربًا﴾ وقرئ: ﴿عربًا بالتخفيف جمع عرب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعيل. ﴿اترأبًا﴾ مستويات في لسن بنات ثلاث وثلاثين، وأزواجهن أيضًا كذلك. وعن رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا أيضًا جعلاً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين»⁽⁴⁾.

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ثَلَاثَةٌ ﴿٢٩﴾ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٠﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣١﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْمَانِ مَا أَصْحَابُ الْأَيْمَانِ ﴿٣٢﴾.

واللام في ﴿لأصحاب اليمين﴾ من صلة أنشأنا وجعنا.

وَ سَمِيرٌ رَّجِيمٌ ﴿٣٣﴾.

﴿في سموم﴾ في حر نار ينفذ في المسام ﴿وحميم﴾ وماء حار متناه في الحرارة.

وَيَطَّلِبُ بَيْنَ يَمِينٍ ﴿٣٤﴾.

﴿وظل من يحوم﴾ من دخان أسود بهيم.

لَا يَأْرِي وَلَا يَكْرِهُ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَبِينَ ﴿٣٦﴾.

﴿لا بارد ولا كريم﴾ نفي لصفتي الظل عنه، يريد: أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال. سماه ظلًا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في ملول الظل من الاسترواح إليه، والمعنى: أنه ظل حار ضار، إلا أن للنفي في نحو هذا شأنًا ليس للثبات وفيه تهكم بأصحاب المشامة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة. وقرئ: لا بارد ولا كريم بالرفع، أي: لا هو كذلك.

وَكَاثُرٌ يُبْرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِ الْعَظِيمِ ﴿٣٧﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا لَبِئْسَ بُرُودٌ ﴿٣٨﴾.

﴿الحنث﴾ الذنب العظيم. ومنه: قولهم: بلغ الحنث، أي: الحلم وقت المواخذه بالمآثم، ومنه حنث في يمينه خلاف بر فيها. ويقال: تحنث إذا تآثم وتخرج.

أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلَىٰ ﴿٣٩﴾ قُلْ إِنَّ الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾.

﴿أو أبائنا﴾ نخلت همزة الاستفهام على حرف العطف.

فَوَإِنْ قُلْتُمْ: كيف حسن العطف على المضمرة في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن؟ قُلْتُمْ: حسن للفواصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى: ﴿ما أشركنا ولا أبائنا﴾⁽⁵⁾ لفصل لا المؤكدة للنفي. وقرئ: أو أبائنا.

لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٤١﴾.

وقرئ: ﴿لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم. والإضافة بمعنى من كخاتم فضة، والميقات: ما وقتت به الشيء أي: حد ومنه مواقيت الإجمام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْكَافِرُونَ ﴿٤٢﴾.

﴿أيها الضالون﴾ عن الهدى ﴿المكذوبون﴾ بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم.

لَا تُكْفِرُونَ بَيْنَ زُفُورٍ ﴿٤٣﴾.

﴿من شجر من زقوم﴾ من الأولى: لابتداء الغاية والثانية: لبيان الشجر وتفسيره. وأنت ضمير الشجر على المعنى ونكره على اللفظ في قوله: منها وعليه. ومن قرأ: من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة، وإنما

= رقم: 241.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة الجنة، باب: ما جاء في سنن أهل الجنة (الحديث رقم: 2545)، وأخرجه أحمد في المسند 343/2.

(5) سورة الأنعام، الآية: 148.

(1) سورة يس، الآية: 56.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة (الحديث رقم: 3296).

(3) أخرجه الترمذي في الشمائل ص 117، باب: مزاحه ﷺ (الحديث =

نكر الثاني على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وهي في معناه.

فَأَيُّونَ مِنهَا الْبَاطُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَرَوُنَّ عَلَيْهِمُ مِنَ اللَّيْمِ ﴿٥٤﴾ فَتَرَوُنَّ سُورَ أَلْبِيبِ ﴿٥٥﴾

﴿شرب الهيم﴾ قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران. وعن جعفر الصادق رضي الله عنه: أيام أكل وشرب، بفتح الشين. وأما المكسورة فيمعنى المشروب. أي: ما يشربه الهيم، وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء. قال نو الرمة:

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها

وقيل: الهيم الرمال، ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو: الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب، ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض. والمعنى: أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ﴿ملؤوا منه البطون﴾ يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم.

فإن قلت: كيف صح عطف الشاربيين على الشاربيين وهما لنوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفًا للشيء على نفسه؟ قلت: ليستا بمتفقتين من حيث إن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضًا فكانتا صفتين مختلفتين.

مَذَا تَرُؤُنَّ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٥٦﴾

النزل: الرزق الذي بعد للنازل تكريمًا له وفيه تهكم كما في قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب اليم﴾^(١) وكقول أبي الشعر الضبي:

وكنا إذا الجبار بالحيش ضافنا جعلنا القنا والمرمفات له نزل

وقرى: ﴿نزلهم﴾ بالتخفيف.

عَنْ حَقَنَتَكُمْ فَوَلَا صُدُورُونَ ﴿٥٧﴾

﴿فلولا تصدقون﴾ تحضيض على التصديق إما بالخلق؛ لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به. وإما بالبعث؛ لأن من خلق أولًا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيًا.

أَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾

﴿ما تمنون﴾ ما تمنونه. أي: تقنقونه في الأرحام من النطف. وقرأ أبو السمال بفتح التاء. يقال: أمنى النطفة ومناها. قال الله تعالى: ﴿من نطفة إذا تمنى﴾^(٢).

مَأْتَرُ نَفْسُوكُمْ أَمْ كَانَ لَلْأَنفُسِ ﴿٥٩﴾

﴿تخلقونه﴾ تقدرونه وتصورونه.

عَنْ قَدَرْنَا بَشَاكُ الْمَوْتِ وَمَا أَخْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

﴿قدرنا بينكم الموت﴾ تقديرًا وقسمنا عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتقاربت كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلقت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط. وقرئ: ﴿قدرنا﴾ بالتخفيف. سبقته على الشيء إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه. فمعنى قوله:

﴿وما نحن بمسبوقين * على أن تبدل أمثالك﴾ إنا قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه وأمثالك جمع مثل أي: على أن تبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن ﴿وننشئكم﴾ في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها. يعني: أننا نقدر على الأمرين جميعًا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم، فكيف نعجز عن إعانتكم. ويجوز أن يكون أمثالك جمع مثل أي: على أن تبدل وغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم ونشئكم في صفات لا تعلمونها.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ قَوْلًا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

قرئ: النشأة والنشأة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جعلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى.

أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أفرايتم ما تحرثون﴾ من الطعام أي: تبذرون حبه وتعملون في أرضه.

مَأْتَرُ تَرَعُونَهُ أَمْ خَشِيَ الرَّزَّاعُونَ ﴿٦٤﴾

﴿أنتم ترعونه﴾ تنبتونه وتربونه نباتًا يرف ويمني إلى أن يبلغ الغاية. وعن رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت».

لَوْ كُنَّا لَبِئْسَ لَكُمْ حَطْمًا فَطَلَّمْتُ نَفْسَهُونَ ﴿٦٥﴾

قال أبو هريرة: أرايتم إلى قوله: أفرايتم الآية والحطام، من حطم كالفئات والجذاز من فت وجذ وهو ما صار هشيمًا وتحطم ﴿فطلتم﴾ وقرئ: بالكسر وطلتم على الأصل ﴿تفكهون﴾ تعجبون. وعن الحسن رضي الله عنه: تندمون على تعبك فيه وإنفاقكم عليه أو على ما اقترفت من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها. وقرئ: تفكنون، ومنه الحديث: «مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينما هم إذ غار ماؤها فانفتح بها قوله: وبقي قوم يتفكنون أي: يتندمون».

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

﴿إننا لمغرمون﴾ لملزومون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون

﴿تورون﴾ تقدحونها وتستخرجونها من الزناد، والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الأعلى: الزند والأسفل: الزنده، شبهوهما بالفحل والطروقة.

ءَأْتَرُ أَنْتُمْ شَجَرًا أَمْ تَحْنُ الْمُنْتَوُونَ ﴿٧٦﴾

﴿شجرتها﴾ التي منها الزناد.

تَحْنُ جَمَلَتَهَا تَذَكْرَةً وَمَتَعًا لِّلْمُتَوِينَ ﴿٧٧﴾

﴿تذكرة﴾ تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعيش كلها وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها وينكرون ما أودعوا به، أو جعلناها تذكرة وانمونجا من جهنم لما روي عن رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم»^(١). ﴿ومتاعاً﴾ ومنفعة ﴿للمتقين﴾ للذين ينزلون القواء وهي القفر، أو للذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام، يقال: أقويت من أيام. أي: لم أكل شيئاً.

سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾

﴿فسبح باسم ربك﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك، أراد بالاسم: الذكر. أي: بذكر ربك و ﴿العظيم﴾ صفة المضاف أو للمضاف إليه. والمعنى: أنه لما ذكر ما دل على قدرته وإنعامه على عباده قال: فأحدث التسبيح، وهو أن يقول: سبحان الله إما تنزيهاً له عما يقول الظالمون الذين يجحدون ووحدانيته ويكفرون نعمته، وإما تعجباً من أمرهم في غمط آلائه وآياديه الظاهرة، وإما شكراً لله على النعم التي عدها ونبه عليها.

فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿٧٩﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَلْمُزُونَ عَظِيمٌ ﴿٨٠﴾

﴿فلا أقسم﴾ معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله: لئلا يعلم أهل الكتاب. وقرأ الحسن: فلا أقسم، ومعناه: فلأنا أقسم. اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي: أنا أقسم. كقولك: لزيد منطلق ثم حذف المبتدأ، ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين: أحدهما: أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والإخلال بها ضعيف قبيح، والثاني: أن لأفعلن في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال. ﴿بمواقع النجوم﴾ بمساقطها ومغاربها. ولعل الله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لانه وقت قيام المهتجرين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم. فلذلك

لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك.

﴿بل نحن﴾ قوم ﴿محرمون﴾ محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا. وقرئ: أئنا.

أَوَّيْتُهُ الْمَاءَ الَّذِي شَرَبْتُمْ ﴿٨١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٨٢﴾

﴿الماء الذي تشربون﴾ يريد: الماء العذب الصالح للشرب و ﴿المزن﴾ السحاب، الواحدة: مزنة. وقيل: هو السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماء.

وَ نَسَّأَهُ جَمَلَتُهُ أَجَابًا فَلَوْلَا تَشَكَّرُونَ ﴿٨٣﴾

﴿أجاباً﴾ ملخاً زعاقاً لا يقدر على شربه.

فإن قلت: لم أدخلت اللام على جواب ﴿لو﴾ في قوله: لجعلناه حطاماً ونزعت منه ههنا! قلت: إن لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط وله تكن مخلص للشرط كإن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقاً من حيث إقانتها في مضموني جميتها أن الثاني امتنع لامتناع الأول افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علماً على هذا التعلق فزيت هذه اللام لتكون علماً على ذلك فإذا حذف بعد ما صارت علماً مشهوراً مكانه فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مالوقاً ومأنوساً به لم يبال بإسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع. ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول: خير لمن قال له: كيف أصبحت؟ فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوى حالي حذفه وإبائه لشهرة أمره، وناهيك بقول أوس:

حنى إذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوباً ولا طلباً وحذف لم أر فإن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضوعان بلا فرق بينهما على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغنى عن ذكرها ثانية وناثب عنه. ويحوز أن يقال إن هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فاندخلت في آية المطعوم نون آية المشروب، للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب، وأن الوعيد يفقده أشد. وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعاً للمطعوم. ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه، ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء:

إذا سقيت ضيوف الناس محضاً سقوا ضيافهم شيماً لا لا وسقى بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة، ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب.

قُرَيْبَةُ النَّارِ الَّتِي تُورُونَ ﴿٨٤﴾

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وإنها مخلوقة (الحديث رقم: 3265) وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها (الحديث رقم: 30 - 2843).

أقسم بمواقعها واستعظم تلك بقوله:

﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ أو أراد بمواقعها:

منازلها ومساييرها وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف. وقوله: ﴿وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ اعتراض؛ في اعتراض لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه⁽¹⁾. وهو قوله:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾

﴿إنه لقرآن كريم﴾ واعترض لو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل: مواقع النجوم وأوقات وقوع نجوم القرآن. أي: أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله.

فِي كِتَابٍ مُّكْتَبٍ ﴿٧٨﴾

﴿في كتاب مكتوب﴾ مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطالع عليه من سواهم.

لَا يَسْمُؤُهُ إِلَّا الْأُمُّطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

وهم المطهرون من جميع الاناس اناس الذنوب وما سواها. إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكتوب وهو اللوح وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى: لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس، يعني: مس المكتوب منه، ومن الناس من حملة على القراءة أيضاً. وعن ابن عمر أحب إلى أن لا يقرأ إلا وهو طاهر. وعن ابن عباس في رواية: أنه كان يبيح القراءة للجنب. ونحوه قول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»⁽²⁾. أي: لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه. وقرئ: المتطهرون والمطهرون بالإدغام، ﴿والمطهرون﴾ من أطهره بمعنى: طهره. والمطهرون بمعنى: يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه.

نَزِيلٌ مِّن رَّبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٨٠﴾

﴿تنزيل﴾ صفة رابعة للقرآن. أي: منزل من رب العالمين، أو وصف بالمصدر؛ لأنه نزل نجوماً من بين سائر كتب الله تعالى فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه. فقيل: جاء في التنزيل كذا، ونطق به التنزيل، أو هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ: تنزيلاً على نزل تنزيلاً.

أَنبِئْنَا الْكَاذِبِينَ أَنَّهُمْ مُّذَمُّونَ ﴿٨١﴾

﴿أنبهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ أي: متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي: يلين جانبه ولا

يتصلب فيه تهاوناً به.

وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ على حذف المضاف يعني: وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أي: وضعت التكذيب موضع الشكر، وقرأ علي رضي الله عنه: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون. وقيل: هي قراءة رسول الله ﷺ والمعنى: وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به. وقيل: نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها والرزق المطر يعني: وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النجوم. وقرئ: تكذبون وهو قولهم: في القرآن شعر وسحر وافتراء، وفي المطر هو من الأنواء ولأن كل مكذب بالحق كاذب.

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمَلَائِكَةُ الْهَيْبَةَ وَالنَّارُ بَدَّتْ وَالرَّيْحُ أَمْرٌ ﴿٨٣﴾ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَدِينِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَدِينِينَ ﴿٨٥﴾

ترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدنيين، و﴿فلولا﴾ الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ﴿ترجعونها﴾ للنفس وهي الروح وفي ﴿أقرب﴾ إليه للمحضر.

﴿غير مدنيين﴾ غير مربوبين من دان السلطان الرعية إذا ساسهم. ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت. والمعنى: إنكم في جحوبكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء إن أنزل عليكم كتاباً معجزاً قلتم سحر وافتراء، وإن أرسل إليكم رسولا قلتم ساحر كذاب، وإن رزقكم مطراً يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي إلى الإهمال والتعطيل. فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد.

فَأَنذَرْنَا أَيْدِيَهُمْ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٨٦﴾

﴿فأما إن كان﴾ المتوفى ﴿من المقربين﴾ من السابقين من الأزواج الثلاثة المذكورة في أول السورة.

فَرَحَّ رَحْمَانٌ وَرَحْمَتٌ يَوْمَئِذٍ ﴿٨٧﴾

﴿فروح﴾ فله استراحة. وروت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ فروح بالضم⁽³⁾. وقرأ به الحسن وقال: ﴿الروح﴾ الرحمة؛ لأنها كالحياة للمرحوم⁽⁴⁾. وقيل: البقاء. أي: فهذان له معاً وهو الخلود مع الرزق

(3) أخرجه الترمذي في كتاب: القراءات، باب: ومن سورة الواقعة (الحديث رقم: 2938).

(4) أخرجه عبد بن حميد (راجع الدر المنثور 6/166) وأخرجه الزيلعي 3/411.

(1) قال أحمد: وعلى هذا التفسير يكون جواب القسم مناسباً للمقسم، مثل قوله: ﴿جم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ ومن وادبه وثناياك أنها إغريض كما تقدم.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: العظام، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (الحديث رقم: 58 - 2580).

والنعيم، والريحان: الرزق.

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أُمَّةٍ أَلْيَيْنَ ﴿١٦﴾ فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أُمَّةٍ أَلْيَيْنِ ﴿١٧﴾
 ﴿١٦﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفُرِينَ فَسَاءَ لَكَ ﴿١٧﴾.

﴿فسلام لك من اصحاب اليمين﴾ أي: فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين أي: يسلمون عليك. كقوله تعالى: ﴿إلا قبيلاً سلاماً سلاماً﴾.

فَرَأَىٰ مِنْ جِبْرِيلَ ﴿١٧﴾ وَنَصِيحَتُهُ جَبْرِيْلَ ﴿١٨﴾.

﴿فنزل من حميم﴾ كقوله تعالى: ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ وقرئ: بالتخفيف و﴿وتصلية جحيم﴾ قرئت بالرفع والجر عطفًا على ﴿نزل﴾ و﴿وحميم﴾.

إِنَّمَا هَذَا كَلِمَةٌ مَوْحِيَّةٌ ﴿١٨﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَلِيِّ ﴿١٩﴾.

﴿إن هذا﴾ الذي أنزل في هذه السورة ﴿لهو حق اليقين﴾ أي: الحق الثابت من اليقين. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا»^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحديد مكية

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

جاء في بعض الفواتح سَبِّحَ على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وكل واحد منهما معناه: أن من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبِّحه وذلك هجيره ودينه. وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تعالى: ﴿وتسبحون﴾^(٢) وأصله التعدي بنفسه؛ لأن معنى سبحته بعدته عن السوء، منقول من سبَح: إذا ذهب وبعس، فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له، وإما أن يراد بـ ﴿سبح لله﴾ أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصًا.

﴿ما في السموات والأرض﴾ ما يتأتى منه التسبيح ويصح.

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾.

فإن قُلْتُ: ما محل ﴿يحيي﴾؟ قُلْتُ: يجوز أن لا يكون له محل. ويكون جملة برأسها.

تقوله: ﴿له ملك السموات﴾ وأن يكون مرفوعًا على هو يحيي ويميت ومنصوبًا حالًا من المجرور في له والجار عاملاً فيها. ومعناه: يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء.

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى السَّمَوَاتِ بِمَلَكٍ
 مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ
 مَعَكُ أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَمْ تَكُنْ لَكَ آسَمَاتٌ
 وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ رَبُّهُمُ الْأُمُورِ ﴿٥﴾ يُؤْتِي الْبَلَّ وَالنَّهَارَ وَيُؤْتِي الْكَلْبَ فِي
 الْبَلِّ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾.

﴿هو الأول﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء
 و﴿والآخر﴾ الذي يبقى بعد هلاك كل شيء و﴿الظاهر﴾
 بالادلة الدالة عليه و﴿الباطن﴾ لكونه غير مدرك بالحواس.

فإن قُلْتُ: فما معنى الواو؟ قُلْتُ: الواو الأولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الأولى والآخرة، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء، أما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأولى ومجموع الصفتين الآخريين. فهو المستمر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن، جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يترك بالحواس. وفي هذا حجة على من جوز إبراهه في الآخرة بالحاسة. وقيل: ﴿الظاهر﴾ العالي على كل شيء الغالب له، من ظهر عليه إذا علاه وغلبه، و﴿الباطن﴾ الذي بطن كل شيء أي: علم باطنه وليس بذك مع العبد عن الظاهر المفهوم.

أَمِئْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ قَالَتِ الْأُمَّةُ
 يَسْكُرُوا وَأَنْفَقُوا لَمْ يُكْرَمُوا كَرِيمٌ ﴿٧﴾.

﴿مستخلفين فيه﴾ يعني: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها وإنما مولكم إياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب. فانفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الاتفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه، أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينقل منكم إلى من بعدكم، فلا تبخلوا به وانفقوا بالاتفاق منها أنفسكم.

وَمَا لَكُمْ لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ
 مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾.

﴿لا تؤمنون﴾ حال من معنى الفعل في ما لكم كما تقول مالك قائمًا بمعنى ما تصنع قائمًا؟ أي: وما لكم كافرين بالله. والواو في ﴿والرسول يدعوكم﴾ أو الحال فهما حالان متداخلتان. وقرئ: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم﴾ والمعنى: وأي عذر لكم في

(2) سورة الفتح، الآية: 9.

(1) أخرجه البيهقي في الشعب، باب: في تعظيم القرآن فضل في فضائل السور والآيات (الحديث رقم: 2498).